(12) ذو البجـــادين رضي الله عنه

نسمع عن ذات النطاقين ، وهي أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها وعن أبيها ، ولكن من هو ذو البجادين ؟ وما سبب هذا اللقب ؟ وما فضله ؟

كيف أسلم ؟ وماذا نعرف عن حياته ؟

هيا معاً نتعرف على إجابات هذه الأسئلة .

***

لا نعلم عنه الكثير سوى إسلامه ، وهجرته إلى الله تعالى ، وجهاده ثم وفاته ودعاء الرسول ﷺ له بالرضا ، والنزول في قبره ودفنه بيديه الشريفتين ، حتى أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه تمنى أن يكون هو صاحب هذا القبر ، رغم أنه أسبق منه إلى الإسلام .

تبدأ حياة هذا الصحابي الجليل بولادته في قبيلة « مُزَيْنَة » لأبوين فقيرين ، فأبوه عبد نَهَم المزني الذي سمي وليده بعبد العزى ، تيمّنًا [1] بالوثن المعبود من دون الله تعالى . وما لبث الوالد أن مات وترك طفله للفقر واليتم ، غير أنه كان للطفل عم ثري ، أخذه ورباه كما يربي الوالد ولده .

نشأ عبد العزى بن عبد نَهَم شاباً عاقلاً رافضاً لكل ما حوله من أوثان وأصنام تُعبد من دون الله كارهاً لعادات الجاهلية البغيضة ، ويود أن ينتشله أحد من هذا الجو العفن الآس[2] الذي يخنق روح الفضيلة ويكمم أنفاس الحق ، ويحجب إضاءة النور . يود أن يجد هذا الشخص ، فيذهب إليه ، فيترك دنياه وأهله وعشيرته .

وأراد الله تعالى له ذلك ، فسمع الفتى بوجود رجل في المدينة المنورة ، مكي الأصل ، قرشي القبيلة ، يدعو إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له ، وإلى نبذ الأوثان والأصنام ، ويأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي . فصادف ذلك هوى في نفسه ، فآمن به دون أن يراه واتبع النور الذي جاء به .

---

(1) تيمناً : تبركاً .

(2) الآس : متغير فاسد

كتم عبد العزى بن نَهَمَ المزني اسلامه عن قومه في أول أمره خاصة عمه الذي ربّاه وتولى الإنفاق عليه حتى شب ، ولكن نما [1] إلى علم العم أن عبد العزى قد صبأ واتبع الدين الذي يدين به أهل يثرب ، وصار من اتباع ذلك الرجل المكي محمد ابن عبد الله الذي غيّر دين الآباء والأجداد ، وجعل الألهة إلهاً واحداً .

استدعاه عمه ، ونحسب أن حواراً كهذا دار بينهما .

العم : يا عبد العزى ، بلغني أنك قد صبأت ، وبدلت دين الأباء والأجداد بدين اليثربيين .

عبد العزى : ما صبأت يا عماه ، ولكني أسلمت لله رب العالمين .

العم : يا ابن أخي ، عد إلى صوابك ، فإن دين الأباء والأجداد أحق بالاتباع .

عبد العزى : لا يا عم ، فالحق أولى بالاتباع ، إن ما تدعون إلى عبادته أصنام من حجارة صماء أو من أخشاب ميته لا تنفع ولا تضر . .

العم (مقاطعاً بغضب) : كف عن هذا القول ، ولا تسب الألهة ، وعد إلى رشدك حتى لا تحرم من النعيم الذي تعيش فيه .

عبد العزى : من العبث أن نرى النور ولا نتبعه ، وأي نعيم هذا الذي نعيشه ؟ وأي حياة هذه التي نحياها ؟ إن النعيم الحق هو نعيم الآخرة الذي لا يزول ، وإن الحياة الحقة مع رب العالمين الواحد الأحد .

العم : إذن أنت مصر على موقفك ، واللات والعزى ، وحق الآلهة لاجردنّك من النعيم الذي منحتك إياه فتعود إلى فقرك القديم ، ولننظر أي نعيم يقدمه لك الدين الجديد .

انصرف عبد العزى من أمام عمه ، وقرر الهجرة إلى المدينة ، لينضم إلى قافلة المسلمين المباركة .

***

خرج عبد العزى من بيته قاصداً مدينة الرسول ﷺ ، فعلم به عمه فمنعه من الذهاب ، وضيّق عليه الخناق ، وتكررت محاولات عبد العزى حتى أنه خرج متخفياً ليس عليه سوى بجاد يغطي به جسده ، والبجاد هو الكساء الغليظ . لمحه

---

(1) نما إلى علمه : وصله .

بعض قومه ، فظنوه ذاهباً لقضاء حاجة له ، خاصة وأنه ليس معه ما يلزم السفر ، وقيل إن عمه جرده من كل شيء ، ولم يترك له غير هذا البجاد يستر به جسده بعد أن علم عزمه وتصميمه على الخروج والذهاب إلى يثرب .

واصل عبد العزى فراره بدينه ، وهجرته إلى الله تعالى ورسوله ﷺ حتى إذا ما كان قريباً من المدينة المنورة ، هيأ نفسه ، وشق بجاده نصفين ، جعل أحدهما إزاراً « أي لف به النصف الأسفل من بدنه » والآخر ارتداه ولف به النصف الأعلى من بدنه ، ثم مضى في طريقه إلى المدينة المنورة ، بل إلى مسجد الرسول ﷺ ، يسلم بين يديه ، ويقابله فتكتحل عيناه برؤية وجهه الكريم .

أصبح الصباح ، وأذن بلال رضي الله عنه لصلاة الفجر ، ولما قُضيت الصلاة أقبل الرسول ﷺ يتفحص [1] وجوه القوم ، فوقع بصره على هذا الشاب ، فسأله من يكون ؟ فأجابه : أنا عبد العزى بن عبد نهم المُزني . فقال له النبي ﷺ : أنت عبد الله . وأخذ عبد الله المزني رضي الله عنه يقص في المسجد حكايته ، كيف نشأ ؟ وكيف أسلم ، وماذا جرى له مع عمه ؟ وكيف جرده من كل شيء ؟

كان الصحابة يستمعون لهذه القصة مع الرسول ﷺ ، ولذلك فقد لقبوه بعبد الله ذي البجادين ، فصار اسمه عبد الله ذو البجادين رضي الله عنه .

***

كان عبد الله ذو البجادين كثير الذكر والتسبيح لله تعالى يجأر [2] بالدعاء في كل وقت وحين ، ولسانه دائماً رطباً بذكر الله بصوت مرتفع ، حتى أن هذا الأمر أثار عجب بعض الصحابة ، ومنهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي سأل : أمراء هو ؟!! لا إنه ليس بالمرائي ، بل هو أحد الأوّاهين [3] ، رقيق القلب ، كثير الدعاء ، يُعلم أنه قد فاتته مشاهد كثيرة مع رسول الله ﷺ ، وسبقه الكثيرون إلى شرف الصحبة والجهاد ، ويود تعويض هذا ، وكانت نفسه تتوق [4] إلى الجهاد والشهادة ، ولذلك فما فاتته غزوة بعد هجرته حتى جاءت غزوة تبوك .

---

(1) يتفحص : يبالغ في الفحص والبحث .

(2) يجأر : يرفع صوته متضرعاً مستغيثاً .

(3) الأوّاهين : جمع أوّاه وهو كثير التأوه من خشية الله ، أو الرقيق القلب .

(4) تتوق : تشتاق .

في رجب من السنة التاسعة للهجرة كانت غزوة تبوك ، وكان عبد الله ذو البجادين في الجيش يطلب الشهادة ، وفي طريق العودة مرض رضي الله عنه ، واشتد به المرض .

في أحد الليالي قام عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، فرأى شعلة من نار في ناحية من نواحي المعسكر فاتبعها حتى وصل إليها ، لينظر أي أمر يكون ، فإذا هو برسول الله ﷺ وصاحبيه الصديق والفاروق رضي الله عنهما ، وإذا عبد الله ذو البجادين رضي الله عنه قد مات وقد حفروا له ليدفنوه ، ورسول الله ﷺ قد نزل الحفرة والصديق والفاروق رضي الله عنهما يدليانه إليه وهو يقول لهما : أدنيا إليّ أخاكما .

بعد أن فرغ الرسول ﷺ من دفنه دعا له بخير حتى أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه تمني أن يكون هو صاحب هذا القبر وهذه الحفرة ، لما رأى وسمع من دعاء النبي ﷺ هذا غير شرف أنه دفنه بيديه الشريفتين .

رضي الله تعالى عن عبد الله ذي البجادين ، أحد الأواهين المهاجرين إلى الله تعالى ورسوله ﷺ .

* * *